بسم الله الرحمن الرحيم

شبكةُ شموخِ الإسلامِ

منتدى المجَاهِدَاتِ الشَّامِخَاتِ يُقَدِّم:

تفريغ مجموعة خطب للشيخ أبي الحسن العراقي "مصطفى الناصري" تقبله الله

٤ - "مَحَبَّةُ النَّبِيّ صَلّى اللّه عليهِ وَسلّم"



الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستهديه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِل له، ومن يُضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته، ومن لا غنىً له طرفة عين عن رحمته، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله، أرسله الله رحمة للعالمين، فأنار به الطريق، وفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غُلفًا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله؛
أُوصيكم وأُوصي نفسي أولًا بتقوى الله العظيم، وطاعته، ولزوم أوامره، وكثرة مخافته، وأُحذّركم وبالَ عصيانه ومخالفة أمره، واستفتح بالذي هو خير:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءًۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [سورة الأحزاب].

أما بعد؛
اعلموا معشر الإخوة أنّ خير الكلام كلام الله، وأنّ خير الهدي هدي سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأنّ شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أعاذنا الله وإياكم من حرّها وشرّها.

محبة النبي صلى الله عليه وسلم؛

أصل عظيم من أصول الإيمان، لا يتم إيمان العبد إلا به، فلن يجد العبد للإيمان طعمًا حتى يكون حبه للنبي صلى الله عليه وسلم أكبر من حبه لولده ووالده والناس أجمعين، فقد

صح عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين أنه قال: (وَالّذِي نَفسِي بِيَدِهِ؛ لاَ يؤمِنُ أَحَدَكُم حَتّى أَكُونَ أَحَبّ إِلَيهِ مِن وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنّاسِ أَجمَعِينَ).

بل لن يجد العبد للإيمان طعمًا حتى يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من حبه لنفسه التي بين جنبيه.

ففي الصحيح أن عمر رضي الله عنه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا؛ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ)، فَقَالَ عُمَرُ: فَوَ الذي بعثّكَ بالحقِ؛ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي يا رسول الله، فَقَالَ لهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(الْآنَ يَا عُمَرُ)**.

أي: الآن اكتمل عندك نصاب المحبة، الآن اكتمل عندك نصاب الإيمان.

قال الإمام الخطابي -رحمه الله- تعليقًا على هذه الرواية، يقول: إن عمر رضي الله عنه نظر في المآلات وفي النتائج، فلما علم أن النفس طالما تأمر صاحبها بتلبية الشهوات واللذات التي تحب، وأنها طالما تجر صاحبها إلى طريق النار، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مصدر الهداية التي إن اقتفينا أثرها سلكنا طريق الجنة وإن خالفناها سلكنا طريق النار، نظر عمر في هذا المفهوم فعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بنا من أنفسنا التي بين جنبينا فقال: والذي بعثك بالحق لأنت أحب إليّ من نفسي يا رسول الله.

ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم تابعة مقترنة مع محبة الله جل جلاله، يقول عليه الصلاة والسلام: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ [أولهن] أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ).

الشاهد أنه صلى الله عليه وسلم قرن محبته عليه الصلاة والسلام مع محبة الله جل جلاله، فمن أحب الله أحب رسوله، فما ذُكرت محبة الله ولا طاعة الله إلا ذكرت معها طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبته عليه الصلاة والسلام.

ولقد ضرب لنا الصحابة في هذا المفهوم أروع الأمثلة فعن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن رجلاً من الانصار جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله؛ إني لأذكرك وأنا في بيتي فلا أصبر حتى آتي لأنظر إليك، وإني اليوم ذكرتُ موتي وموتك يا رسول الله، فعلمت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين، وأنا وإن دخلت الجنة أخشى أن لا أراك.

تقول عائشة: فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حينها، فنزل قول الله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذينَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيهِم مِنَ النَّبِيّينَ وَالصِّدّيقينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفيقًا (٦٩) ذلِكَ الفَضلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفى بِاللَّهِ عَليمًا﴾ [النساء: ٦٩-٧٠].

يرشد الله عز وجل هذا الصحابي الجليل ببشارة تتلى إلى قيام الساعة تأييدًا من الله عز وجل على صدق ما ذكر هذا الصحابي رضي الله عنه بأنه جل جلاله يُطمئنه أن من أطاع الله وأطاع رسوله فإنه سيحشر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع من قبله من الأنبياء ومع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، شهادة تتلى إلى قيام الساعة، فأي شرف ذاك وأي منزلة تلك؟!

ما أجمل هذا المقام وما أحلاه وما أزكاه وما أسماه.

وحاشا لله، حاشا لرحمة الله أن تصف لنا منزلة دون أن تصف لنا الطريق المؤدي إليها، ففي سورة آل عمران يأمر الله جل جلاله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يخبر الناس من حوله ويرشدهم إلى الطريق المؤدية إلى هذه المنزلة، فيقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُل إِن كُنتُم تُحِبّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعوني يُحبِبكُمُ اللَّهُ وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَاللَّهُ غَفورٌ رَحيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الإمام الحسن البصري -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: زعم أقوام محبة الله ورسوله فابتلاهم الله بهذه الآية.

ابتلوا أي اختبروا بهذه الآية، الابتلاء هو الاختبار.

فلكل محبة علامات تدل عليها، ولكل مشاعر في جوف الإنسان علامات ترشد من ينظر إلى هذا الإنسان إلى ما في قلبه وإن طال به الزمان، وإن طال الزمان بهذه المشاعر، وإن خُفيت في داخله واختبأت فستظهر عاجلاً أو آجلاً.

﴿قُل إِن كُنتُم تُحِبّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعوني يُحبِبكُمُ اللَّهُ وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الإمام ابن كثير في تفسيرها: هذه الآية حاكمة قاضية على كل من ادعى محبة الله ومحبة رسوله وهو في ذات الوقت ينهج غير الطريقة المحمدية التي شرعها الله لعباده، فاعتبرت هذه الآية قاضية حاكمة على كل من ادعى محبة الله ومحبة رسوله، فطريق الصحابة رضي الله عنهم الذي ارتضاه الله عز وجل لهم فرضي عنهم وأرضاهم في كتابه،

طريقهم واضحة لا خلاف فيها، أنهم استدلوا على محبته صلى الله عليه وسلم باتباعه، واستدلوا على محبة الله عز وجل ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم باقتفاء أثره صلى الله عليه وسلم حيًا وميتًا، ففي الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم حين وصف لنا حال الناس يوم القيامة، فيقول عليه الصلاة والسلام وهو أرحم الناس بأمته يقول: (يؤتى بأناس من أمتي غرًلًا محجلين [يستدل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته بهذه العلامة: غُرلًا محجلين] فيؤتى بأناس من أمتي فيؤمر بهم إلى النار، فأقول: أي رب، أي رب، هؤلاء من أمتي.

فيقول الله: يا محمد إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك.

[لا تدري كيف غيروا، لا تدري كيف بدلوا، لا تدري كم ابتدعوا في دينك وفي سنتك]

يقول عليه الصلاة والسلام -وهو أرحم بنا من أمهاتنا اللائي ولدننا- يقول: فأقول: سحقًا سحقًا بعدًا بعدًا.

سحقًا لمن بدل بعدي، سحقًا لمن غير بعدي، سحقًا لمن بدل بعدي، سحقًا لمن غير بعدي، فيقول ابن كثير: وهذا هو مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد.

أي: مردود إلى صاحبه في الدنيا والآخرة.

فيا أحباب المصطفى صلى الله عليه وسلم؛

إن أول شرط من شروط اكتمال نصاب المحبة هو الانقياد لشرعه وسنته صلى الله عليه وسلم.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن لنهجه إلى يوم الدين اقتفى، وبعد؛

معشر الإخوة؛

إن من علامات المحبة الصادقة هي الدفاع عمن أحببت، فترى الرجل بفطرته وبطبيعته يحب أمه وأباه، فما يسمع أن رجلاً قد انتقص من عرضه أو عرض أمه أو عرض أبيه إلا ثار بفطرته دفاعًا عمن يحب.

ولقد أجمع المسلمون، أجمع علماء الأمة على وجوب الانتصار للنبي صلى الله عليه وسلم حيًا وميتًا، وبذل الأنفس والأموال فداء له، وهذا واضح جلي من فهم وعقيدة الصحابة رضى الله عنهم، ففي معركة بدر يصف لنا أحد الصحابة حاله وهو واقف بين شابين من شباب الأنصار، فيقول: قلت في نفسي يعطونني شابين صغيرين لا يقدران على تحمل طاقة القتال ولا ضراوة المعركة، يقول حدثت نفسي بذلك، يقول: وإذا بي أنظر إلى معسكر المشركين وفيهم أبو جهل وفيهم أمية وفيهم فلان وفلان من فرسان العرب المعروفين، يقول: فأنظر إلى من حولي من الشباب وإذا بهم شباب لا يقدرون على مطاولة ضراوة المعركة،

يقول: وإذا بأحدهم يقول لي: أي عم، أي عم، من أبو جهل في القوم؟

لأن الشابين من الأنصار لا يعرفون شخصيات كبار قريش.

قال: أي عم، من أبو جهل في القوم؟

قلت: وما شأنك وشأن أبي جهل؟! أنت شاب صغير وهذا فارس من فرسان العرب، وما شأنك وشأن أبي جهل!؟

قال: سمعت أنه كان يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووالله لا يفارق سوادي سواده حتى أرديه قتيلاً.

فقلت: ذاك هو.

قال: أي عم، ناشدتك الله أن لا تخبر أخي الذي بجانبك؛ فإننا متسابقان إلى قتل هذا الرجل.

يقول فقلت: لك ذلك.

قال: بينما أنا كذلك إذا أخيه الذي بجانبه يقول: أي عم، أي عم، أين أبو جهل في القوم؟

فقلت: وما شأنك وشأنه!؟

قال: سمعت أنه كان يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووالله لن يفارق سوادي سواده حتى أرديه قتيلاً.

يقول فقلت: ذاك هو.

يقول: فما أن احتدم القتال والصدام حتى انطلقا إليه كالصقرين، يقول: فما زالوا به ينابزونه حتى أردوه قتيلاً.

فانطلقا إلى خيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كل منهما يقول: أنا قتلت عدو الله، أنا قتلت من يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
هكذا كانوا يحبونه، هكذا فهموا دينهم، وهكذا فهموا عقيدتهم.

فهذا عروة بن مسعود أحد المفاوضين في صلح الحديبية من قبل المشركين، لما عاد إلى أصحابه قالوا: كيف وجدت القوم؟ فقال: وأي قوم؟ وأي قوم؟ والله لقد دخلت على كسرى في ملكه ودخلت على النجاشي وقيصر في ملكهما، فما وجدت أحدًا يعظم أحدًا كتعظيم أصحاب محمد لمحمد.

فيا معشر الإخوة؛
إن الحلم قد أصبح حقيقة، إن الاصطفاء الذي اصطفاه الله عز وجل لأولئك القوم قائم مستمر إلى قيام الساعة، ولكن الفطن الذكي هو من يقتنص الفرصة وينتهزها، فلقد شرَّع الله لنا أبواب الجنان، وأقام لنا سوق الجهاد ليصطفي منا الشهداء والمجاهدون.
فقد رمانا أئمة الرافضة الذي يطعنون في عرض محمد صلى الله عليه وسلم، وفشا ذلك فيهم حتى صار فيهم دينًا، فالشريف عندهم هو من يثخن في عرض عائشة، المستقيم فيهم الذي يقيم على دينهم على أكمل وجه هو من يطعن في عرض محمد صلى الله عليه وسلم فيسب عائشة رضي الله عنها في عرضها وهي التي برأها الله عز وجل من سابع سماء.

فيا أهل الإسلام؛
إن الله عز وجل قد شرَّع لكم أبواب الجنان، وأتاح لكم فرصة الدفاع عن نبيكم صلى الله عليه وسلم، لتنالوا هذا الشرف الرفيع الذي نالوه أولئك القوم، وكم ذكرنا وكم تأملنا وكم تمنينا أن ننال ما نالوا، وكم حلمنا أن نعيش في الأجواء التي عاشوها، وكم حلمنا في أن ننال شرف الدفاع عن دين الله عز وجل وعن شرع الله عز وجل وعن رسوله صلى الله عليه وسلم.

فيا إخوة الإسلام؛

إن الله عز وجل قد كتب على عباده موتة واحدة فدعوها تخرج في سبيل الله، دعوها تكون ميتة مشرّفة ترضي الله عز وجل، وترضي رسوله صلى الله عليه وسلم الذي ندَّعي محبته ليلاً ونهارًا، بينما كثير منا يغضب أشد الغضب ويستأسد إذا سُبَّ أباه أمامه، أو إذا طعن في عرضه أو عرض أمه، حينها لن تنفعه الشكاوي ولا الأقاويل ولا نصائح الناصحين.

بينما إذا سُبَّ رسول الله أو طُعِن في عرضه تراه يحوقل ورأسه ذليلاً كسيرًا خانعًا ويقول باستحياء: إنا لله وإنا إليه راجعون. هذا إذا كلف نفسه بذلك!

اللهم ردنا إلى دينك ردًا جميلا، اللهم ردنا إلى دينك ردًا جميلا، اللهم استخدمنا ولا تستبدلنا، اللهم استعملنا فيما يرضيك ولا تستبدلنا، اللهم أفرغ علينا صبرا، ربنا أفرغ علينا صبرًا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، لا ترفع لهم راية، ولا تحقق لهم غاية، واجعلهم لمن خلفهم آية.

اللهم يا حي يا قيوم، يا أحد يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، قرّ أعين النبي صلى الله عليه وسلم بنا، اللهم اجعله يفرح بنا يوم نلقاك وأنت راض عنا، اللهم اجعلنا من أهل سنته، واحشرنا في زمرته، واسكنا معه في جنته يا أرحم الراحمين.

اللهم إن لنا إخوانا يرزحون في سجون الظالمين، اللهم إن لنا إخوانا يرزحون في سجون الكافرين، وما نحن بأرحم بهم منك يا أرحم الراحمين، اللهم فإنا نسألك لهم الفرج القريب، اللهم ردهم إلى أهليهم سالمين غانمين معافين يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك الجنة، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وأقمِ الصلاة

رجب

١٤٣٩ هـ